علم الاجتماع الرياضي Sociology of sport

أن علم الاجتماع الرياضي فرع من علم الاجتماع العام ، يدرس الرياضة والتربية البدنية بصفتها ظاهرة اجتماعية إذ أن علاقة هذا العلم والطرائق التي يتبعها بالتربية الرياضية علاقة متبادلة ، فلا تطبق نظرية علم الاجتماع وطرائقها في التربية البدنية كمادة للدراسة توظف في توضيح المشكلة بصفتها ظاهرة اجتماعية فحسب، بل أن للرياضة والتربية البدنية جوانب ومظاهر وتقاليد متعددة تكون مادة غنية للعلوم النظرية وتسهم في تطوير مادة علم الاجتماع ونظرياته وطرائقه ، لذا أصبحت الرياضة في العصر الحاضر ظاهرة حضارية لها تأثيرها الفعال ومداها الواسع وتعقيداتها ، ولذلك أصبحت أيضا(ظاهرة اجتماعية) تخدم التربية والتعليم ، بل أن مداها أكثر من ذلك فكل فرد أصبح مهتماً بشكل أو بآخر بالرياضة ، وأنها على الرغم من ذلك لم تجد الاهتمام والدرجة الكافية من الدراسة.

تعددت المفاهيم حول ظاهرة اجتماعات الرياضة بأهميتها . فهناك كثير من المصطلحات التي استخدمت تسمية ذلك الفرع الذي هو فرع من علم الاجتماع فمنهم من اطلق مصطلح علم الرياضة والاجتماع وأخر ذكر علم الاجتماع والرياضة وثالث كتب علم رياضة الاجتماع والحقيقة ان اغلب هذه الكتب والمصادر حملت المفهوم الواحد ولكن بأساليب مؤلفيها، فليس هناك أي اختلاف جوهري في المضمون سوى الاختلاف في المسمى فالموضوعات تكاد ان تكون متشابهة وكلما تبحث في ظاهرة علاقة **(الرياضة _ المجتمع _ الأفراد)** بعضهم ببعض .

ونشير هنا إلى التعريفات الأقرب علمياً وموضوعياً لعلم الاجتماع الرياضي ، فكثير من أساتذة علم الاجتماع وخبرائه اتفقوا على ان علم الاجتماع الرياضي هو فرع من فروع علم الاجتماع العام وهو فرع يركز في بحث العلاقة بين الرياضة المجتمع . أو انه ذلك العلم_الذي يتخذ من الرياضة اساساً له ويحاول الإجابة على تطور الرياضة ودورها في المجتمع ككل.

فيما أشار بعضهم إلى انه ذلك العلم الذي يبحث في طبيعة الأفراد الممارسين وغير الممارسين للرياضة ، أو انه العلم الذي يهتم بالدراسات والتطبيقات العلمية للبناء الاجتماعي والتفاعلات الاجتماعية في الرياضة. وهو يعني بذلك انه يمثل كل التفاعلات العلمية للتظاهرات والتفاعلات والعمليات الاجتماعية ومن ثم تحليلها كمقوم نشط داخل تشكيل المجتمع وكيانه.

كما أشار البعض من العلماء المتخصصين في هذا الجانب من أعضاء الجمعية الدولية لعلم الاجتماع الرياضي ببولندا إلى انه العلم الذي يعكس مرآة المجتمع الرياضي.

وعرفه **(هنري Henrry)** بأنه العلاقات الاجتماعية المتبادلة بين الجماعات المتنافسة وغير المتنافسة . ويرى المؤلفون ان **علم الاجتماع الرياضي هو العلم الذي يدرس العلاقات**

الاجتماعية المتبادلة بين جميع العاملين في المجال الرياضي وما تتضمنها من البنية والوعي والمشكلات الاجتماعية بهدف تطوير المستوى الرياضي عند الفرد والمجتمع.

المسار التاريخي لتطور الفكر الاجتماعي

إن المجتمعات التاريخية قديماً خضعت للتطور الحضاري ، وانتقلت في هذا السلم من حياة الترحال وعدم الاستقرار إلى حياة الاستقرار والتنظيم الاجتماعي ، واستفادت من الخبرات الاجتماعية وتقدم النواحي التكنولوجية الفتية وخلفت آثارا حضارية مادية وكانت لها فلسفة اجتماعية وكونية وعرفت تقسيم العمل والتخصص الاجتماعي ، وظهور الوعي بالفكر السياسي ونشأة الوحدة الاجتماعية الكبيرة للمجتمع المحلي في صورة قرية أو مدينة ، ويمتاز البناء الاجتماعي في هذه المرحلة بوضوح نظام التدرج الطبقي واستناد النظام السياسي والاقتصادي على أساس ديني ويعتبر هذا البناء الاجتماعي في مستواه العام مرآة للمثل الاجتماعية التي يرتضيها المجتمع كأهداف غائبة في العلاقات الإنسانية ، وكما موضح في أدناه :

أولا : المجتمعات البدائية Primitive Communities

يعرف المجتمع البدائي على انه (**أقوام عاشوا في فترة ما قبل اختراع الكتابة بأكثر من 5000 سنة**) ، وامتازت هذه الأقوام بالبساطة والبدائية في استخدام وسائلها المحدودة ضمن نطاق المجتمع الذي يعيش فيه ، وقد كانت حياتهم شديدة التعقيد من الناحية الاجتماعية والدينية والاقتصادية فامتزجت هذه العلاقات مع بعضها بان أصبح من الصعوبة الفصل فيما بينها.

عاش الإنسان حياته الأولى منعزلا عن أبناء جنسه الا ان خطورة الحياة وصعوبتها واكتشاف الزراعة دفعته للبحث عمن يستطيع العيش معه .

ثانياً : حضارة وادي الرافدين Civilization of Mesopotamia

ان حضارة العراق القديم أو ما يسمى (**بلاد ما بين النهرين Mesopotamian**) قد احتلت مكانة بارزة في التاريخ البشري القديم ، وقد ساهمت وبشكل كبير في تقدم المجتمعات القديمة التي كانت تعيش إلى جوارها في مجالات عديدة و أصبحتمثالاً رائعاً يضرب به عن دور سكان هذه البلاد في تقدم الحياة الإنسانية وتطورها.

ان المهرجانات والاحتفالات كانت لها فلسفتها الاجتماعية والتربوية وهذه الفلسفة مبنية على أساس ديني وتربوي واجتماعي وهذا يعني ان الركنين الأساسيين للمهرجانات والاحتفالات الرياضية ومصاحبة الموسيقى لها هما تعدد البرامج وتكرار إقامتها دورياً في مواعيدها مما يعزز الجوانب الروحية الاجتماعية والوطنية لدى سكان المجتمع في العراق القديم ، ومن هذه

المهرجانات والاحتفالات عيد تتويج الملك ومواسم قدوم فصل الربيع وسفر ومقدم الآلهة وعودة الجيوش والقواد المنتصرة من المعارك وكذلك احتفالاتهم بشهر كلكامش.

تتصف قوانين حضارة وادي الرافدين بأنها أقدم القوانين المكتشفة في التاريخ ، وتجسّد (إلى جانب اختراعها المبدع للكتابة) قمة الأصالة الحضارية الأولى التي منحت البشرية أسس الحضارة الحديثة مثل الكتابة و العلم والقانون والنظام وغيرها ، وبذلك استحقت حضارة وادي الرافدين صفة المعلم الأول للحضارة البشرية المعاصرة .

كما أن طبيعة القوانين المكتشفة امتازت تنظيمها وشموليتها (بدأت بالشؤون الزراعية وأساس اقتصاد حضارة وادي الرافدين والأحوال الشخصية ومحور النظام الاجتماعي) جميعاً تدلل على وجود مجتمع متقدم متمسك بالقواعد القانونية والنواحي الاجتماعية ، دليل ذلك أن 90% من النصوص المسمارية المكتشفة تُعالج موضوعات المعاملات القانونية ذات الطبيعة الاجتماعية .

ثالثاً : حضارة مصر القديمة civilization of Egyptian

إذا حللنا النظام السائد في مصر الفرعونية فنلاحظ أن البناء الاجتماعي لها كان يرتكز على التقسيم الطبقي ، وفي قمة هذا البناء الطبقي يأتي **الفرعون** لا باعتبارهم مجرد حكام سياسيين أو رؤساء للدولة ولكن باعتبارهم آلهة ، لذلك فإنهم كانوا ا يجمعون في آن واحد بين السلطات الدنيوية والأخروية ، يأتي هذه الطبقة طبقة **الكهنة** الذين يستمدون قداسة أعمالهم في المعبد وتفانيهم في خدمتهم لفرعون باعتباره الإله ، ثم تأتي طبقة **قوات الجيش** وهم القائمون على حراسة الأماكن المقدسة ثم تليها طبقة **الحرفيين** ، والشيء المهم في هذا النظام هو الارتكاز على النظام الديني ، أما بالنسبة للأفكار لاقتصادية والسياسية فإنهم خلفوا قدرا غير يسير. فلقد أثبتت الوثائق التاريخية التي عثر عليها علماء الآثار ان الفكر الاجتماعي الفرعوني قد وعى بفكرة الملكية باعتبارها إحدى الحقوق القدسية الإلهية ، فممتلكات المعابد من الأموال التي لا يجوز ملكيتها ملكية فردية ولكن ترجع إلى الحق الإلهي .

اما بالنسبة للأفكار القانونية فأنها احتلت وضعا خاصا في التفكير الفرعوني فنجد كثيرا من الوصايا على أوراق البردي أو النقش التي سطرت على جدران المعابد مضمونها يثبت مجموعة القوانين التي خلفتها المدينة المصرية ، اذ عرف الفراعنة كيف ينظمون حياتهم الاجتماعية وهو ما نجده مثلا في النظم الدستورية في عهد الأسرة الثالثة ، وان وحدة القوانين المصرية توضح نظم الملكية والإرث والهبة والولاية والوصية...الخ

ما نخلص إليه هو أن البناء الاجتماعي الفرعوني بالرغم من انه كان نظاما تيوقراطي وطبقي إلا انه كان نظاما متماسكا ، هذا لارتكازه على المحور الديني ونتيجة دعم الوحدة الاجتماعية

والسياسية على مستوى الدولة ويعتبر الفكر الاجتماعي الفرعوني باكورة التفكير الاجتماعي العلمي لأنه يعكس أول مرحلة من مراحل النضج والوعي السياسي كان له فائدته التاريخية للإنسانية عامة.

رابعاً : حضارة الصين القديم civilization of old China

تنازع على الفكر الاجتماعي الصيني القديم عدة تيارات متنافسة. لعل أهمها الكونفوشيوسية والتاوية والموتستية ، نأخذ على سبيل المثال الكونفوشيوسية ، اذ يعتبر الحكيم كونفوشيوس مؤسس أول مدرسة اجتماعية في الحضارات الشرقية القديمة أسهمت في كثير من الدراسات الاجتماعية والسياسية والأخلاقية وكانت لها أثارها العميقة في الحياة الفكرية والاجتماعية والعلمية للصين قبل الثورة الشيوعية المعاصرة ، لان أراء كونفوشيوس ارتكزت على تمجيد النظام الإقطاعي وتقديسه واتخاذه أساسا للبناء الاجتماعي والتنظيم الاقتصادي والسياسي ، فالمجتمع في نظر كونفوشيوس لابد ان يكون مجتمعا طبقيا يضع في الاعتبار الأول صيانة حق الملكية ، وهنا كان رد فعل عنيف ضد ما انتشر في أيام كونفوشيوس من أراء فوضوية أدت إلى انتشار حالة من الاضطراب وعدم الطمأنينة . وكان لا بد من مواجهة هذه الحالة من سياسة اجتماعية و أصلاحية هدفها إحياء التقاليد على أساس تدعيم النظام الطبقي الصيني القديم اذ كان يعتلي قمة الهرم (الإمبراطور وأسرته) ثم يأتيه الأحرار فالنبلاء والإشراف ثم في أخر درج السلم الاجتماعي السكان وعامة الشعب .

ان من التقاليد الراسخة لدى الصينيين في فكرهم الاجتماعي القديم أن يحفظوا للأباطرة مكانتهم الدينية وأحقيتهم السلطوية لان العناية الإلهية فوضتهم بمهام مناصبهم نظرا لمواهبهم وقدراتهم العقلية ومواقفهم الخيرة وهم يظلون في مراكزهم طالما ظلوا متمسكين بالقانون الأسمى .

إذن فلسفة كونفوشيوس ترى أن النظام الاجتماعي الناجح هو الذي يقوم على أساس ديني و أن العلاقات الاجتماعية لابد أن تستمد من الإله الأعظم، أما التخطيط التربوي والنظام التعليمي و هو الطريق الوحيد إلى الفضيلة اذ أنشأ مدرسة في كل قرية فيها 25 ألف ساكن وانشأ جامعة في كل مقاطعة.

ان من أهم القواعد التي أشار إليها كونفوشيوس في المجال الاجتماعي وهو وجوب القائمين على شؤون التعليم للتعرف على ميول الطالب وقدراته الطبيعية ، وكان يرى أن يكف المدرسون عن طريق التدريس التي تحول الطلبة إلى مجرد آلات تحفظ الدروس بلا وعي ولا فهم .

خامساً : الحضارة اليونانية civilizations of Greek

يزعم كثير من مؤرخي الفكر اليوناني إن أول من وجه الفكر الإنساني المنظم لشؤون السكان الاجتماعية هو الفيلسوف الإغريقي **(سقراط)** لأنه أول من تناول التأمل الفلسفي في الطبيعة

ونادى للمعرفة المحضة الخالية من شوائب الميتافيزيقا ، اذ ُ عتبر أول من انزل الفلسفة من السماء إلى الأرض ومن بواكير ما سجل الفكر اليوناني قصيدة (نيوجيس) المجاري التي تعتبر أول عمل اجتماعي اذ شار ت إلى المثل العليا التي تتمثل في بر الوالدين والأقربين

إن الفكر الاجتماعي الإغريقي عند افلاطون انطوى على تصورات ذهنية وتطلعات مثالية ، اذ يرى افلاطون إن المدينة في إبعادها ليست إلا تجسيدا للمجتمع الكبير على ان هذا لا يعني بأي حال من الأحوال إن التراث الفكري الاجتماعي اليوناني كان يخلو في هذه المرحلة من تحليل دقيق لمظاهر الحياة الاجتماعية ، كما في التدرج الهرمي البنائي اذ يصور افلاطون المدينة الفاضلة وكأنها ارتكزت على ثلاث طبقات متدرجة هرميا لكل طبقة وظائفها المتخصصة وطبقة الحكام تتولى سياسة أمور الدولة العليا ثم يأتيها طبقة الجند التي تقوم بواجب حماية مصالح الطبقة الحاكمة ثم طبقة العمال من فلاحين وصناعيين تعمل توفير حاجيات الشعب.

خلاصة القول إن أفلاطون صاحب **كتاب الجمهورية** ، فقد جسد فيها فلسفته المثالية لا يمكن للمجتمع تحقيقها لأنها بعيدة كل البعد عن الواقع الاجتماعي مما جعله نموذجا فريدا.

أما تلميذه **أرسطو** فكان عكس أستاذه فقد انطوت أفكاره الواقعية على عديد من المبادئ الاجتماعية التي تعتبر مسلمات كلاسيكية مثل اعتبار الإنسان حيوان اجتماعي سياسي بمعنى ان لا يمكن إن يعيش منفصلا عن المجتمع . والأسرة هي الخلية الأساسية الاجتماعية التي تقوم على أساس التعايش الزوجي وبتعدد الأسر والعائلات تولدت القرية وبتعدد القرى تنشا المدينة كوعاء للبناء الاجتماعي الطبقي الذي يرتكز أساساً على التخصص المهني الجماعي وعلى التساند والتكامل الاجتماعي ، واعتبر الدولة هي الإطار السياسي وهي هيئة تنظم حياة المواطنين وتحمي القوانين وتصون العدالة .

ما يعاب على أرسطو هو انه لم يدخر جهداً في دراسة العوامل الاجتماعية وتحليلها ما يؤدي إلى تقويض هذا البناء الاجتماعي أو اضمحلاله لأنه بناء طبقي اذ توزع له الملكيات والمراكز توزيعا غير عادل .

سادساً : الفكر الاجتماعي عند المسلمين

ظلت الآراء المثالية خلال العصور الوسطى حتى ظهور الإسلام وتناول بتعاليمه الحياة الاجتماعية ونظمها فأفسح المجال للمفكرين المسلمين باب الاجتهاد الفكري ، وظفرت الأبحاث الاجتماعية حينئذ من العناية والالتفات ، ومما ساعد على ذلك قوة الصلة الروحية التي ربطت بين المجتمعات الإسلامية بالرغم من اختلاف عاداتها ولغاتها، وقد انتقل كثير من مفكري الإسلام بين إقليم وأخر في إنحاء العالم الإسلامي المترامي الأطراف فاكتسبوا من التجارب والخبرة ما أعانتهم على تفسير ما شاهدوه من ظواهر اجتماعية .

ومن بين المفكرين الاجتماعيين الذين كانت لهم إسهامات كبيرة في الفكر الاجتماعي **أبو حامد الغزالي وغيرهم** ، وكانت أفكاره و أرائه اقرب إلى الأخلاق الاجتماعية منها إلى علم الاجتماع وكان في أرائه ينشد فيها إلى السعادة والخير الأسمى .

إلا أن الفكر الاجتماعي ظل في القرون الطوال على هذه الطريقة اذ انتهى فيها البحث إلى الأسس العلمية لعلم مستقل هو علم الاجتماع على يد المفكر الإسلامي **والعلامة عبد الرحمن ابن خلدون** .

سابعاً : الفكر الاجتماعي في القرنين 17-18

اقتصر الفكر الاجتماعي في المسائل الحياتية بعد ابن خلدون على تقويم بعض الآراء و الأفكار المثالية المدينة الفاضلة ومن أمثلة هذا التفكير (كتاب **اليوتوبيا** لتوماس مور) واليوتوبيا معناها البلد الذي لا وجود له الا في الخيال وقد قصد (مور **mor**) نقد الحياة الاجتماعية في عصره والدعوة إلى الإصلاح كما بين فيه الفساد الأخلاقي في المجتمع الانجليزي وذلك عن طريق المقارنة بين هذه الأخلاق و الأخلاق السائدة في مدينة أحلامه فهو يسخر من الثروة ولا يعتقد أنها تحقق السعادة لان الثروة تفسد طبائع البشر وتدفعهم إلى التقاتل والى الحروب ، ويسخر مور من الحكام الذين يعاقبون السارق دون توفير العمل الشريف له .

أما أصحاب العقد الاجتماعي منهم الفيلسوف الانجليزي **(توماس هوبز)** صاحب الكتاب المشهور **(حرب الكل ضد الكل)**الذي كان يرى أن الإنسان أناني بطبعه وان قانون الطبيعة هو القانون السائد أي أن طبيعة الإنسان تنطوي على الغدر والتربص لان الإنسان ذئب لأخيه الإنسان وعليه فطبيعة الغاب طبيعة متأصلة فيه واجتماعية الإنسان في الأخير ما هي إلا حيلة من ذكاء الإنسان لتكوين المجتمعلذلك يستدعي على الحكام أن يكونو اذو ي سلطات مطلقة لكي يجعلوا الناس يرهبونهم ويخشوهم.

أما **(جون جاك روسو)** فكان عكس هوبز اذ ردد أن حياة المجتمع ليست من فطرة الإنسان وا ٍنما اهتدى إليها بحكم حاجته إلى الاستقرار لذلك صور روسو الحياة الإنسانية الأولى على أنسها حالة شقاء يسودها النزاع والصراع وعدم الاستقرار، اذ يعتقد روسو أن الإنسان طيب بفطرته وهو مجبور على حب الخير ولهذا فقد عارض روسو لهذه النظرية الاتجاه العام السائد في فلسفة القرن 18.

أما **(مونتسكيو)** صاحب كتاب روح القوانين فهو يعتبر فتحا جديدا في دراسة الظواهر التشريعية ومعرفة أصولها التاريخية لان القوانين ضرورية وهي تستمد أساسا من طبيعة الناس ومن بيئاتهم الاجتماعية.